التَّعايش بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا من منظور شرعي

المـُرتضَى الزّين أحمد (*)

إن موضوع التعايش كما هو معلوم من الموضوعات المهمة، التي يكثر تناولها في وسائل الإعلام والاتصال، وقد عقدت له العديد من الندوات العلمية، والمؤتمرات العالمية، و الملتقيات الفكرية، وهو من الموضوعات التي مازالت تشغل بال المجتمعات الإنسانية اليوم بسبب الحروب، والصراعات، ومحاولات الهيمنة، التي جعلت التعايش بين أفراد المجتمعات أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً في بعض البلاد، وقد أعددت هذه الدراسة بمناسبة انعقاد الندوة العلمية الدولية حول التعليم العربي الإسلامي وأثر ه في التنمية والتطور في إفريقيا[1]، وقد قسمتها على النحو الآتي:

(*) عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، بجامعة إفريقيا العالمية. السُّودان.

[1] وهي ندوة أقامتها جامعة الملك فيصل بجمهورية تشاد بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية في الفترة الواقعة بين 13-17 شوال 1425هـ الموافق 26-2004/11/30م تحت عنوان التعليم الإسلامي وأثره في التنمية والتطور في إفريقيا وذلك بمدينة أنجمينا . تشاد.

المبحث الأول: مبحث تمهيدي حول مفهوم التعايش، وتأريخه، ومؤسساته، والدراسات المقدمة حوله، وفيه أربعة مطالب:.

المطلب الأول: مفهوم التعايش.

المطلب الثاني: الدراسات السابقة في موضوع التعايش.

المطلب الثالث: لمحة عن تأريخ التعايش.

المطلب الرابع: مؤسسات التعايش.

المبحث الثاني: التعايش في ضوء الكتاب والسنة، وفيه مطلبان:.

المطلب الأول: التعايش في ضوء القرآن الكريم.

المطلب الثاني: التعايش في ضوء السنة النبوية.

المبحث الثالث: خصائص التعايش ومقوماته وثمراته ومعوقاته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: خصائص التعايش.

المطلب الثاني: مقومات التعايش.

المطلب الثالث: ثمرات التعايش.

المطلب الرابع: معوقات التعايش.

المبحث الرابع: التعايش المشروع والتعايش الممنوع، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعايش المشروع.

المطلب الثاني: التعايش الممنوع.

ثم الخاتمة، وأوردت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات، والله أسال أن تكون مباحث هذه الدراسة مفيدة، وبالله التوفيق.

أسباب اختيار الموضوع:

كان اختياري لدراسة موضوع التعايش بين المسلمين وغير المسلمين، ومحاولة معالجته من منظور شرعي لأسباب عديدة منها ما يأتي:

1. الحاجة إلى إبراز فضائل الإسلام، وبيان الظروف التي هيأها الإسلام للتعايش بين المسلمين وغير المسلمين.

2. شدة حاجة المجتمعات المعاصرة لإيضاح صور التعايش المشروعة والممنوعة وفق التصور الإسلامي الصحيح، الذي يهتدي بما كان عليه الصحابة والتابعون، ومن تبعهم بإحسان.
3. التصدي للأقلام التي تناولت موضوع التعايش، وحاولت ترسيخ مفاهيم التعايش بالمنظور الغربي في المجتمعات الإسلامية.
4. كشف وتفنيد دعاوى أعداء الإسلام؛ ومن شابههم من أبناء المسلمين الذين يحاولون تفتيت وحدة المسلمين، وذلك بإثارة النعرات القبلية، والعرقية، والإقليمية، والحديث عن مزاعم اضطهاد واسترقاق العرب المسلمين للأفارقة.
5. التصدي لما تروج له بعض الدوائر الغربية التي تتهم الإسلام بأنه يحض أتباعه للتهوين من قيمة وا ٍنسانية الإنسان غير المسلم، خاصة بعد أحداث 9/11.

المبحث الأول

مبحث تمهيدي حول مفهوم التعايش، وتأريخه، ومؤسساته، والدراسات المقدمة حوله

المطلب الأول: مفهوم التعايش:

التعايش في اللغة مشتق من العيش، والعيش الحياة[1].

والتعايش في الاصطلاح يقصد به العيش المتبادل مع الآخرين القائم على المسالمة والمهادنة[2].

التعايش السلمي[3]:

وأما مصطلح التعايش السلمي فهو من المصطلحات الحديثة، التي ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية، وهو مصطلح يراد به حالة السلم التي تعيش فيها دول ذات أنظمة اجتماعية، وعقائد سياسية متباينةو لا سيما كتلة الدول الرأسمالية الغربية، وكتلة الدول الاشتراكية دون نشوب الحروب بينها.

---

[1] القاموس409/2 لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى 817هـ، نشرته دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ الموافق 1991م

[2] مجلة الجراري.ليوم ص 27 العدد14 عام 1417هـ، وهي مجلة تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . ايسيسكو . مقال بعنوان مفهوم التعايش في الإسلام بقلم د.عباس الجراري.

[3] معلومات مستفادة من موقع بالإنترنيت مختارات من المصطلحات السياسية والاقتصادية htt.212, 100, 198, 18/datal/Behoth.

وينصب معنى التعايش السلمي على التفاهم، وليس على التعايش بين الطبقات، ومؤداه في الواقع قبول الوضع الراهن في العلاقات بين الدول وإزالة حدة التوتر في العلاقات الدولية.

الألفاظ ذات الصلة:

قد يعبر عن التعايش بعبارات: التسامح، التقارب، التساكن، التكامل، التلاقي، التجانس.

ويراد من غير المسلمين في هذه الدراسة أصحاب الديانات السابقة اليهود والنصارى، وأصحاب الديانات الإفريقية، والمؤمنين بالمعتقدات الإفريقية القديمة والحديثة مثل الكجور، والحراب المقدسة، والذين يقدسون الظواهر الطبيعية كالشمس، والرعد، والبرق، والكواكب، والذين يعتقدون بوجود كائن أعلى مجهول يتقرب إليه بعبادة الأصنام، والتماثيل، والحيوانات.

المطلب الثاني: الدراسات السابقة في موضوع التعايش.

من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع التعايش في إفريقيا الدراسة التي أعدها أ. د / مدثر عبد الرحيم[1] بعنوان الإسلام والتجانس الاجتماعي في إفريقيا ، ونشرتها مجلة دراسات إفريقية التي يصدرها مركز

[1] نشرتهامجلة دراسات أفريقية التي يصدرها مركز البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة إفريقيا العالمية، العدد الأول، رجب 1405هـ الموافق أبريل 1985 م

البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية ، وهي دراسة جامعة، وملمة بكثير من القضايا والحقائق العلمية، أكدت نجاح الإسلام في تحقيق التعايش والتجانس في المجتمعات الإفريقية على الرغم من تباين سكانها، لأن الأفارقة وجدوا الإسلام دينا يدعو للإخاء، والسلام، والتعايش. ووجدوا أن الإسلام يذيب كافة الفوارق المؤسسة على العنصر، أو اللون، أو العرق، أو الإقليم، الأمر الذي عجز النصارى من تحقيقه في إفريقيا، وكانت بعض كنائسهم عنصرية، تمارس التمييز ضد الأفارقة، و خصصت للمبشرين الأوربيين أماكن خاصة بهم داخل الكنائس.

و أشارت الدراسة . أيضا . إلى أن التجانس الاجتماعي بين المسلمين في إفريقيا يعد من أعظم إنجازات الحضارة الإسلامية في إفريقيا،و أن التزاوج الذي تم بين العرب والأفارقة في صدر الإسلام، كان له أثر كبير في تعزيز، وزيادة عمليات التعايش.

و أما الدراسة الثانية في موضوع التعايش فهي الدراسة التي أعدها د. عباس الجراري، وعنوانها: مفهوم التعايش في الإسلام[1].

و هي دراسة حاولت معالجة العديد من المسائل العلمية المهمة، وأشارت إلى أن التعايش قيمة كبرى في الإسلام، وأن الإسلام يدعو للتعايش والتقارب، ويدين التعصب، والغلو، والتطرف، والعنف، والإرهاب

[1] مجلة الإسلام اليوم ص 27 العدد14 عام 1417هـ

سواء مع الذات، أو مع الآخرين. وأن مظاهر التعايش والتسامح بين المسلمين وغير المسلمين كثيرة، وأن الإسلام ضمن لغير المسلمين حرية ممارسة عقائدهم، وعباداتهم، وأطلق على بعضهم أهل الكتاب، وهو إطلاق يتضمن اعتراف المسلمين بالكتب السماوية السابقة، وأنهم يؤمنون بالرسل الذين أرسلوا بها. و اشارت الدراسة إلى أن الإسلام أتاح لغير المسلمين في المجتمع الإسلامي الظروف المناسبة لحياتهم، وحافظ على جميع مكوناتهم الشخصية، وفي طليعتها المكون الديني، وأن العلاقات بين المسلمين وغير المسلمين في السلم تقوم على أساس المعاملة بالمثل، والمحافظة على المصالح المشتركة، والتعاون من أجل استمرارها. وأن المسلمين استطاعوا التعايش مع مخالفيهم في الدين.و أشارت الدراسة إلى أن التعايش والتسامح مع الآخرين لا يعني التفريط، والتحلل، والذوبان، والتنازل عن القيم، والمبادئ العقدية، التي قررتها الشريعة الإسلامية.

إلى جانب ذلك فقد عالجت الدراسة بعض المسائل التي قد يساء فهمها، وقد يستدل بها على أن الإسلام يرفض التعايش مع الآخرين، ومن هذه القضايا دعوة الإسلام للجهاد في سبيل الله، واشارت الدراسة إلى أن القواعد والضوابط والتشريعات المتعلقة بالجهاد في سبيل الله مثالية، وا نسانية، و أن الجهاد شرع للحاجة إليه؛ لإزالة العقبات التي تقف أمام انتشار الإسلام، ولدفع الظلم والعدوان، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ {39}سورة الحج.

أما الدراسة الثالثة في موضوع التعايش فهي الدراسة التي أعدها الدكتور/ يوسف القرضاوي و عنوانها: غير المسلمين في المجتمع الإسلامي[1] أشارت الدراسة إلى حقوق أهل الذمة، وواجباتهم في المجتمع الإسلامي، و شرحت الأسس الفكرية لتسامح المسلمين مع غير المسلمين، وأوضحت أن غير المسلمين يسمون في المجتمع الإسلامي أهل الذمة ، ومعنى الذمة العهد ، والضمان ، والأمان، وهي تسمية تدل على أن غير المسلمين يعيشون في المجتمع المسلم آمنين مطمئنين، وأن الإسلام يوجب على الحاكم المسلم حماية أهل الذمة من الظلم الخارجي والداخلي.

و أشارت الدراسة إلى أن من حقوق غير المسلمين في المجتمع الإسلامي حق مزاولة ما يختارون من المهن الحرة، وما يريدون من ألوان النشاط الاقتصادي شأنهم في ذلك شأن المسلمين، و أن لهم حق تولي الوظائف إلا ما غلبت عليه الصبغة الدينية كالإمامة ، ورئاسة الدولة، والقضاء بين المسلمين.

و أشارت الدراسة إلى أن المسلمين تسامحوا مع غير المسلمين تسامحاً فريداً لم تعرفه الإنسانية، وهو ما اعترف به بعض المفكرين الغربيين الذين أشاروا إلى أن التسامح الذي وجده غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية لا نظير له.

[1] نشرتها مكتبة وهبة بالقاهرة . جمهورية مصر العربية . القاهرة . ط الأولى رمضان 1397هـ الموافق 1977م

و أجاب الأستاذ الدكتور/ القرضاوي في دراسته عن بعض الشبهات المثارة حول تعامل المسلمين مع غير المسلمين، وأشار إلى أنها شبهات واهية،و أن الإسلام برئ من اضطهاد غير المسلمين، كما أجاب عن بعض النصوص التي فهمت على غير وجهها. ثم عقد بعض المقارنات بين واقع غير المسلمين في المجتمعات الإسلامية، وبين ما تعانيه الأقليات المسلمة قديماً وحديثاً في ظل بعض الحكومات النصرانية المتعصبة، أو الشيوعية الملحدة، أو الهندوسية المتزمتة، حيث أشار إلى أن المسلمين في هذه البلاد غالبا ما يعانون من الاضطهاد،وا ٍهدار الحقوق، والتعذيب، والتنكيل.

وحذر الدكتور/ القرضاوي في نهاية دراسته من الذين يريدون استغلال فكرة التسامح لتمييع الأديان،وا ٍطفاء حرارة الإيمان في النفوس، مستخدمين في ذلك شعارات التسامح، والوطنية، والقومية.

دراسات أخرى في التعايش:

ومن الدراسات في موضوع التعايش . التي لم أطلع عليها . الدراسة

التي أعدها الأستاذ/ هاني المبارك بعنوان الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ونشرت عام 1997م ضمن سلسلة هذا هو الإسلام.

ومنها دراسة بعنوان التنوع والتعايش بحث في تأصيل الوحدة الاجتماعية والوطنية، أعدها الشيخ/ حسن موسى الصفار، ونشرتها دار التآخي للطباعة والنشر والتوزيع . بدمشق . الطبعة الثالثة عام 2004م.

ومنها دراسة بعنوان الحوار من أجل التعايش أعدها: أ.د. عبد العزيز بن عثمان التويجري.

موضوعات دراستي :

حاولت في هذه الدراسة إيضاح مرجعية التعايش بين المسلمين وغير المسلمين،و ايضاح أن التعايش بالمنظور الشرعي عبادة من أجل العبادات، وأنه من أعظم أسباب تطوير المجتمعات، وتنميتها تنمية شاملة. إلى جانب ذلك فقد حاولت إبراز غايات التعايش، وثمراته، وأوضحت صوره المشروعة والممنوعة، وبينت أن فهم التعايش من منطلق العادات والتقاليد، أو من منطلق الثقافات الوافدة يقضي على كثير من

أصول العقيدة، وحاولت إيضاح خصائص التعايش، ومقوماته.

و أوردت في ختام دراستي بعض النتائج التي توصلت إليها، وأشرت لبعض التوصيات و المقترحات المتعلقة بقضية التعايش.

المطلب الثالث: لمحة عن تاريخ التعايش:

التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا قديم قدم الإسلام، وترجع بوادره الأولى للعهد النبوي الشريف، حيث هاجر جماعة من المسلمين إلى الحبشة هجرتين، كانت الأولى منهما في شهر رجب سنة خمس من النبوة[1]، وكان مجموع المهاجرين ستة عشر صحابياً، منهم الصحابي الجليل، والخليفة الراشد/ عثمان بن عفان . τ، وكانت الحبشة يومئذ دولة نصرانية ، يحكمها ملك نصراني، إلا أنه كان ملكا عادلا لا يظلم عنده أحد. أما الهجرة الثانية فقد كان عدد الرجال فيها حوالي ثلاثة وثمانين، وعدد النساء ثمان عشرة أو تسع عشرة امرأة. ويقدر بعض الباحثين أن عدد الصحابة من أصل أفريقي بحوالي مائة صحابي 100 صحابي[2] بما فيهم النساء والأطفال، وقد ضرب هؤلاء الصحابة أروع

[1] الرحيق المختوم ص 139 لصفي الرحمن المباركفوري . النسخة التي نشرتها مؤسسة الحرمين بالرياض . بدون تاريخ.

[2] ذكر ذلك الباحث / حسن علي الشايقي، في أطروحته لنيل الماجستير، والتي كانت بعنوان: الدور الأفريقي في مناصرة الدعوة الإسلامية في عهد النبي ρ بمركز البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة إفريقيا العالمية، عام 1998م

الأمثلة في الثبت على الإسلام، وتحمل أشد أنواع العذاب، و القيام بنشر العلم، ورواية الحديث.

والمسلمون اليوم أغلبية في بعض الدول الإفريقية[1]، كما هو الحال في جزر القمر، وتشاد، والنيجر، ونيجيريا، ومالي، والسنغال، وأفريقيا الوسطى، وغامبيا، وغينيا، وغينيا بيساو، والصومال، ويعتبر الإسلام هو الدين الرسمي لحوالي 70% من الأفارقة.

ويوجد المسلمون في جميع أنحاء القارة، وقل أن توجد دولة من الدول الإفريقية لا يو جد فيها مسلمون، إلا أن وجودهم يتفاوت، ففي بعضها هم أكثرية، وفي دول أخرى هم أقلية صغيرة، لكنها تنمو مع الأيام كما هو الحال في انجولا، وليسوتو.

المطلب الرابع: مؤسسات التعايش:

وجدت قضية التعايش اهتماماً كبيرا من المجتمع الدولي، والمنظمات، والهيئات، التي تعمل على إرساء قواعد وأسس التعايش لخدمة الأهداف الإنسانية، وتحقيق المصالح البشرية العليا لأفراد المجتمع، وفي مقدمتها استتباب الأمن والسلم، والحيلولة دون قيام الحروب والنزاعات، وردع العدوان، والظلم، والاضطهاد الذي قد يلحق بالأفراد

[1] كما هو منشور بصحيفة العالم الإسلامي العدد 1622 بتاريخ رجب 1420هـ، وهي صحيفة أسبوعية تصدرها رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة

والجماعات، واستنكار كل السياسات والممارسات التي تهضم فيها حقوق الشعوب، على أي مستوى من المستويات، ومحاربة العنصرية، والعرقية، واستعلاء جنس على جنس تحت أي دعوى من الدعاوى المتهافتة.

ومن أبرز المنظمات المعنية بالتعايش من منظور شرعي المنظمات الآتية: المنتدى الإسلامي العالمي للحوار[1]، ورابطة العالم الإسلامي[2]، والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة ايسيسكو[3] .

[1] يتكون المنتدي من مجموعة من الشخصيات، وممثلي الهيئات الإسلامية المهتمة بالحوار، ومقر المنتدي جده . مؤتمر العالم الإسلامي، وموقعه بالإنترنيت: WWW.dialogueonline.org

[2] وهي منظمة إسلامية، شعبية، عالمية، أنشئت عام 1381هـ الموافق لعام 1962م ومقرها بمكة المكرمة، وموقعها بالإنترنيت WWW.muslimworldleagque.org .

[3] وهي هيئة دولية مقرها الرباط عاصمة المملكة المغربية، وتعمل في إطار منظمة المؤتمر الإسلامي، وهي هيئة متخصصة في ميادين التربية والعلوم والثقافة والاتصال، وموقعها بالإنترنيت: WWW.isesco.org.ma

المبحث الثاني
التعايش في ضوء الكتاب والسنة:

المطلب الأول : التعايش في ضوء القرآن الكريم

التعايش بين المسلمين وغير المسلمين المسالمين مشروع، والنصوص التي تدل على مشروعيته كثيرة، ومن أبرز نصوص القرآن الكريم الدالة على التعايش ما يأتي:-

1. قال الله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[1].

والآية فيها الحث على الإحسان والبر[2] بغير المسلمين، الذين لم يقاتلوا المسلمين، أو يتآمروا على قتلهم. والإحسان المذكور في هذه الآية يكون بالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وا ٍطعام جائعهم، وكساء عاريهم، ولين القول لهم، واحتمال أذيتهم في الجوار لطفاً منا بهم، لاخوفاً

[1] الممتحنة: 8، 9

[2] الفروق 434/2 لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المتوفى 684هـ، تحقيق عمر حسن القيام، نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى 1424هـ الموافق 2003م

وتعظيماً، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم، وعيالهم، وأعراضهم، وجميع حقوقهم ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم.

سبب نزول هذه الآية:

وقيل[1]: إن سبب نزول هذه الآية أن أسماء بنت أبي بكر الصديق . رضي الله عنها . رفضت أن تقبل هدية أمها المشركة ، حيث قدمت لها أمها بعض الهدايا ، فأبت أسماء أن تقبل هديتها ،و أبت أن تدخلها بيتها. فسألت عائشة . رضي الله عنها . النبي ε عن ذلك فأنزل الله تعالى : {لاَ يَنْهَاكُمُ اللهَّ ُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ ..} إلى آخر الآية، فأمرها النبي ε أن تقبل هديتها، وتدخلها بيتها.

2. وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهَّ ِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَّ َ عَلِيمٌ خَبِيرٌ}[2].

[1] تفسير القرآن العظيم 369/4 لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي 774هـ، نشرته مكتبة دار الفيحاء بدمشق، الطبعة الأولى 1413هـ الموافق 1992م.

[2] الحجرات: 13

والآية فيها الدعوة للتعارف .و هو يستلزم التعايش . بين جميع الناس بعيداً عن العصبية للجنس، أو اللون، أو العرق،و أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

3. وقال تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلاَ مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ }[1].

والآية أحلت طعام أهل الكتاب ونساءهم، وهما أمران يستلزمان التعايش والتساكن.

4. وقال تعالى في التعامل مع الوالدين إذا كانا كافرين، وكان الولد مسلما: {وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ }[2].

[1] المائدة: 5

[2] لقمان: 15

أي صاحبهما صحبة إحسان إليهما بالمعروف[1]، والبعد عن الإساءة إليهما بالقول، أوالفعل،والحر ص على طاعتهما، وتقديمهما على كل شيء إلا على طاعة الله ورسوله فإنهما مقدمتان على كل شئ.

[1] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 908 للشيخ /عبد الر حمن بن ناصر السعدي، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي . الكويت، 1422هـ الموافق 2001م

المطلب الثاني: التعايش في ضوء السنة النبوية

وأما النصوص التي تدل على مشروعية التعايش مع غير المسلمين المسالمين، والتي جاءت مضامينها في السنة النبوية فمن أبرزها ما يأتي:-

1. ما جاء في النهي عن ظلم المعاهدين والذميين، حيث ثبت[1] أن النبي ρ قال: من آذى ذميا فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله وفي رواية: ألا من ظلم معاهدا، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس منه، فأنا حجيجه يوم القيامة.
2. عيادة مرضاهم لحديث أنس τ أنه قال: كان غلام يهودي[2] يخدم النبي ε فمرض، فأتاه النبي ε يعوده، فقعد عند رأسه فقال له: اسلم. فنظر إلى أبيه وهو عنده، فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم ، فخرج النبيε وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار[3].

[1] رواه ابوداود السنن 170/3 حديث رقم 3052 عن عدد من أبناء الصحابة عن آبائهم، والحديث سكت عنه أبوداود، وقواه السخاوي في المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ص 392 حيث قال:وسنده لابأس به، ولا يضر ه جهالة من لم يسم من أبناء الصحابة، فإنهم عدد ينجبر بهم جهالتهم، ولذا سكت عليه أبوداود.

[2] اسم هذا الغلام غير معروف، كما قال ابن حجر في فتح الباري 221/3: لم أقف في شي من الطرق الموصولة على تسميته، الإ أن ابن بشكوال ذكر أن صاحب العتبية حكى عن زياد شيطون أن اسم هذا الغلام عبد القدوس، قال: وهو غريب، وما وجدته عند غيره.

[3] صحيح البخاري .مع فتح الباري 219/3 حديث رقم 1356.

وقد قيد بعض العلماء مشروعية عيادة غير المسلمين بما إذا كان يرجى منها إسلامهم، و الإ فلا تشرع عيادتهم، قال ابن حجر . رحمه الله :. والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف المقاصد، فقد يقع بعيادته مصلحة أخرى.

3. قبول هدايا غير المسلمين لحديث أبي هريرة . τ . أنه قال: لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ε شاة فيها سم. رواه البخاري[1].

و جاء في رواية أن الهدية قدمتها زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم وهي امرأة يهودية، وقد قبل النبي ε هديتها.

ومن شواهد مشروعية قبول هدايا غير المسلمين .أيضاً . ما تقدم[2] في قصة أسماء بنت أبي بكر الصديق . رضي الله عنها . مع أمها المشركة، وأمر النبي ε لها بقبول هديتها .

4. التعامل مع غير المسلمين بالاستدانة منهم، لحديث عائشة . رضي الله عنها . أنها قالت: توفي رسول الله ε ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير. رواه البخاري[3].
5. الحث على إكرام الموتى، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، لحديث جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . قال: مر بنا

[1] صحيح البخاري . مع فتح الباري 497/7 حديث رقم 4249.

[2] انظر الكلام عن قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾ الذي تقدم قريبا في هذه الدراسة.

[3] صحيح البخاري . مع فتح الباري 99/6 حديث رقم 2916.

جنازة فقام لها النبي ε فقمنا معه. فقلنا يا رسول الله: إنها جنازة يهودي. قال: إذا رأيتم الجنازة فقوموا. رواه البخاري[1] .

ولحديث عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمروا عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض . أي من أهل الذمة . فقالا: إن النبي ρ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودي. فقال: أليست نفسا. رواه البخاري[2]

[1] صحيح البخاري . مع فتح الباري 180/3 حديث رقم1331

[2] صحيح البخاري . مع فتح الباري 180/3 حديث رقم1312

المبحث الثالث

خصائص التعايش ومقوماته وثمراته ومعوقاته

المطلب الأول: خصائص التعايش:

التعايش من منظور شرعي له خصائص كثيرة ، من أبرزها ما يأتي:

1. أنه مرتبط بالوازع الديني، وبمراقبة الله عز وجل، وأن المسلم يمارسه بدافع التقوى، والإيمان بالله عز وجل.
2. أن مصدره الوحي الإلهي، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن نصوصه مقدسة، فلا مجال للتلاعب بها من قبل البشر كيف شاءوا.

لأجل ذلك فإن التعايش من منظور الشرع عبادة من أجل العبادات .

المطلب الثاني : مقومات التعايش:

لتحقيق التعايش مقومات عديدة من أبرزها ما يأتي:

1. التحلي بفهم المجتمع، ومعرفة ما فيه من اختلافات ثقافية، واجتماعية بين أفراد المجتمع.

2. يتحقق التعايش عندما يشعر الجميع بأنهم أبناء وطن واحد، وأن عليهم أن يعملوا على رفعته، وتطويره، وتنميته تنمية شاملة للجوانب الروحية والمادية.
3. الاعتراف بالآخر، ولاسيما اعتراف الطرف الآخر غير المسلمين بالمسلمين، مع استصحاب المسلمين للفوارق الجوهرية، والموضوعية بين دين الإسلام المحكم، المحفوظ، وغيره من الأديان البشرية والمحرفة والمبدلة.

المطلب الثالث: ثمرات التعايش:

للتعايش بين أفراد المجتمع فوائد عديدة . سياسية، واجتماعية، واقتصادية، وثقافية . ومن أبرز فوائده ما يأتي:

1. أنه سبب لتحقيق المصالح المشتركة لجميع أفراد المجتمع، على اختلاف أديانهم وأعراقهم.
2. أنه سبب لتحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع.
3. أنه سبب لتنمية المجتمعات وتطويرها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا.
4. أنه سبب لنشر الدعوة بين أفراد المجتمع، بسبب اختلاط غير المسلمين بالمسلمين، وتفهمهم لطبيعة الإسلام السمحة، ومعرفتهم بمبادئه العظيمة التي تظهر بوضوح في حرص المسلم على حسن التعامل، واحترام الجيران، ومساعدة الآخرين، والتسامح مع جميع أفراد المجتمع.

5. أنه يعرف الأفارقة غير المسلمين بالوجه الحضاري للإسلام، ويصحح صورة الإسلام التي حاول الأعداء تشويهها في أذهانهم. وينفي عن الإسلام تهم التطرف، والإرهاب التي يحاول خصوم الإسلام وأعداؤه رمي الإسلام بها.
6. أنه سبب لتمكين الأقليات المسلمة الموجودة في بعض الدول الإفريقية من ممارسة شعائرهم الدينية، وتحقيق ذواتهم الإسلامية، وتأمين مصالحهم الدنيوية.
7. أنه قد يمكن لبعض أفراد الأقليات المسلمة من احتلال مراكز فعالة في المجتمع، تمكنهم من إظهار تراثهم وحضارتهم بفاعلية، وبأساليب مبتكرة مما يسهم في بروز نهضة إسلامية صحيحة في المجتمعات الإفريقية.

المطلب الرابع: معوقات التعايش:

على الرغم من أن التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في القارة الإفريقية هو السائد؛ إلا أن القارة الإفريقية لم تخل من بعض الصراعات، والنزاعات، التي جعلت التعايش في بعض البلاد محاطاً ببعض العوائق، والشبهات، والإشكالات، وبدراسة بعض تلك الصراعات يمكن تلخيص عوائق التعايش فيما يأتي:

1. رواسب الاستعمار ومخلفاته، وترويج المستعمر لبعض الشبهات والأكاذيب حول العرب والمسلمين في إفريقيا، والتي منها دعاوى استعمار العرب المسلمين للأفارقة.
2. الظروف الاقتصادية الصعبة التي تمر بها بعض المجتمعات الإفريقية، والتي تعد من أفقر دول العالم، وكثير من الصراعات الموجودة في القارة سببها شعور أصحابها بالحرمان، واستئثار غيرهم بالأموال، وتعتبر المطالبة بتقسيم الثروة والسلطة من أهم المطالب التي تطالب بها بعض الحركات المسلحة لتحقيق السلام.
3. عدم المساواة . في بعض المجتمعات الإفريقية . بين أبناء المجتمع الواحد، وحرمان بعض الأفراد من نيل حقوقهم المشتركة مما يولد الكراهية، و ربما الصدامات في المجتمع.
4. اتهام الثقافة الإسلامية بأنها متخلفة، ومعادية لقيم الغرب، وأنها توفر مرتعا خصبا لتفريخ الإرهاب.

المبحث الرابع

التعايش المشروع والتعايش الممنوع

المطلب الأول: التعايشالمشرو ع:

التعايش القائم على تبادل المصالح، والمسالمة، والمهادنة بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا مظاهره كثيرة . والحمد لله . الإ أن بعض المجتمعات الإفريقية توسعت في أبواب التعايش توسعاً كبيراً ، اختلط فيهالمشروع من التعايش بالممنوع، و اختلطت فيه العادات الإفريقية الوثنية بالعادات الإسلامية، ونشأت أجيال لا تفرق بين التعايش المحمود، و التعايش المذموم من وجهة نظر إسلامية صحيحة، و قد حاول بعض المغرضين استغلال جهل الناس، وتوظيف شعارات التعايش، والتسامح لتحذير الغيرة الإسلامية، وتجريد الشخصية الإسلامية من أصولها الإيمانية والثقافية، ونشر أفكارهم الضالة، الأمر الذي يقتضي إيضاح صور التعايش المشروع والممنوع.

فالتعايش المشروع يؤخذ من نصوص الكتاب والسنة، ومنها النصوص الواردة في هذه الدراسة، وهو وسيلة من وسائل دعوة غير المسلمين للإسلام، ويبنى معهم في حالات السلم على البر، والتسامح، و التعامل الحسن، وتأمين مصالحهم الدنيوية، وتمكينهم من المشاركة في خدمة المجتمع، والمحافظة على أمنه واستقراره، وتمكينهم من العمل على تطويره ورفعته وتنميته.

المطلب الثاني: التعايش الممنوع.

وأما التعايش الممنوع فهو المخالف للكتاب والسنة، و من مظاهره:

الدعوة لما يسمى بوحدة الأديان [1]، وكذا الدعوة لبناء المساجد والكنائس ونحوها من أماكن العبادة في محيط واحد ، في الجامعات والمطارات والساحات العامة.

و من مظاهر التعايش الممنوع . أيضا . وهو من أشد أنواع المحرمات مبادلة الكفار الحب، والمودة، ومشاركتهم في أعيادهم الدينية[2]، وهي أعياد غير مشروعة، لا يرضاها الله عز وجل، لأنها إما أن تكون مبتدعة في دينهم،وا ٍما أن تكونمنسوخة بالإسلام، وا ٍقامتها والمشاركة فيها توجب سرور قلوب غير المسلمين بما هم عليه من الباطل، وربما أطمعهم ذلك في انتهاز الفرص واستذلال الضعفاء، والتمكن من دعوتهم لأديانهم المحرفة ، والمنسوخة بالإسلام.

[1] في إبطال هذه الدعوة لما يسمى وحدة الأديان فتوى صادرة عن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية، برقم 19402 وتاريخ 1418/1/25هـ. وللشيخ / بكر بن عبد الله أبوزيد دراسة في أبطال دعوى وحدة الأديان بعنوان: الأبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان

[2] في مسألة المشاركة في أعياد النصارى الدينية رسالة بعنوان: لا تشاركوا النصارى في أعيادهم جمعها الباحث / ناصر علي الغامدي، ونشرتها مؤسسة المؤتمن . المملكة العربية السعودية . الرياض، الطبعة الثالثة 1413هـ الموافق 1992م. للاستزادة انظر كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الحجيم 425/1 . 488 لشيخ الإسلام ابن تيمية، النسخة التي حققها د/ ناصر بن عبد الكريم العقل، الطبعة الأولى عام 1404هـ بمطابع العبيكان بالرياض، وانظر . أيضا . كتاب الروض المربع شرح زاد المستقنع . مع حاشيته 4/ 309 للشيخ / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي . بدون المطبعة وتاريخ النشر

ومن التعايش الممنوع . أيضا . تمكين غير المسلمين في دار الإسلام من وسائل الإعلام، لبث البرامج الدينية في المجتمعات الإسلامية، والسماح لهم بتوزيع مطبوعاتهم الدينية لأبناء المسلمين، والسماح لهم بممارسة كافة أنشطتهم الدينية، ونشرها عبر المحاضرات، والندوات، والمؤتمرات في الأوساط الإسلامية، وكذا السماح لهم بإقامة المعارض في الساحات العامة،وا ٍظهار شعائر دينهم في دار الإسلام، وأمور كثيرة ممنوعة ذكرها أهل العلم[1] ، ويشتد منعها في عصور غلبة الجهل وضعف الإيمان في النفوس الذي أوقع بعض المسلمين في شباك المنصرين .

قد نبه الإمام القرافي[2] . وهو أحد أئمة المذهب المالكي . على أمور كثيرة تدخل في باب التعايش الممنوع ، ومن أبرز ما أشار اليه : تمكين غير المسلمين من الولايات في الدولة الإسلامية ، وا ٍخلاء المجالس لهم عند قدومهم ، والقيام لهم ، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها.

---

[1] أشار الحافظ ابن حجر العسقلاني . رحمه الله . في فتح الباري 525/13 كتاب التوحيد باب قول الله تعالى هُوَ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ {21} لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ {22} إلى منع المطالعة في التوراة والإنجيل ونحوها من كتب أهل الكتاب إلا للعلماء الراسخين في العلم والإيمان، وذلك عند تعليقه على حديث جابر . τ .: " أن النبي ρ غضب حين رأى مععمر بن الخطاب . τ . صحيفة فيها شئ من التوراة وقال له: أفي شك أنت يا ابن الخطاب ؟ ألم آت بها بيضاء نقية ؟ لو كان أخى موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي ".وجاء في بعض الروايات أن عمر بن الخطاب . τ . رمى ما كان في يده وندم على ذلك.

[2] الفروق 434/2

ثم أشار الإمام القرافي . رحمه الله . إلى ضرورة أن يستحضر المسلمون عند التعايش مع غير المسلمين؛ ما جبل عليه غير المسلمين من تكذيب نبينا ρ، وبغضهم للمؤمنين به، وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا، واستولوا على دمائنا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا ومالكنا عز وجل.

نتائج الدراسة

النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة المختصرة لموضوع التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في القارة الإفريقية كثيرة، ومن أبرزها ما يأتي:

1. أن الإسلام دين يدعو للتعايش، والتقارب، ويدين التعصب، والغلو، والتطرف سواء مع الذات، أو مع الآخرين.
2. أن المرجعية في فهم قضايا التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا . وفي غيرها . تستند على نصوص الوحي الإلهي الكتاب والسنة ، وفهمها وفق ما كان عليه الصحابة ، والتابعون ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .
3. البوادر الأولى للتعايش بين المسلمين وغير المسلمين في القارة الإفريقية قديمة، ويرجع تاريخها إلى تأريخ دخول الإسلام للقارة في عهد النبوة.

4. أثبتت الدراسة صلاحية المنهج الإسلامي لتحقيق التعايش بين أفراد المجتمع، حتى مع اختلاف أديانهم، وأعرافهم، وثقافاتهم.
5. أن التعايش الذي يروج له بعض السياسيين المسلمين لا ينسجم في الغالب مع قيم الإسلام ومبادئه، وهم يهدفون إلى تمييع الدين، ونشر مايضاد العقيدة، والشريعة الإسلامية.
6. ظهر لي أن مصطلح التعايش السلمي قد يستغله بعض المنحرفين للترويج لأفكار علمانية، وشيوعية، وتنصيرية، ونحوها من الأفكار التي تتعارض مع قيم الإسلام ومبادئه.
7. التعايش بمنظور الشريعة الإسلامية وسيلة مهمة من وسائل تطوير المجتمعات، وتنميتها تنمية شاملة للجوانب المادية، والروحية.

التوصيات

وفي ختام هذه الدراسة المختصرة عن التعايش بين المسلمين وغير المسلمين في إفريقيا من منظور شرعي فإني أوصي بالآتي:

1. على جميع المسلمين أن يكونوا صورة حقيقية للإسلام، وأن يأخذوا تعاليم الإسلام كلها بجد، وأن يظهروا للمجتمعات الإفريقية ما يجب أن يكون عليه المسلم من خلال أسلوب حياته، لأهمية ذلك في نشر القيم، والمبادئ الإسلامية، وبذلك يكون التعايش مع غير المسلمين وسيلة من وسائل الدعوة.

2. مطالبة المسلمين في المجتمعات الإفريقية .حكاماً ومحكومين . بتطبيق الشريعة الإسلامية، والالتزام بها في مختلف الجوانب، لأن تطبيقها سوف يضع الحلول المثلى لكثير من مشكلات القار ة، وسيسهم في تحقيق التعايش بين المسلمين وغير المسلمين، وسيعمل على تنمية المجتمعات الإفريقية وتطويرها.
3. على المسلمين في القارة الإفريقية تحقيق الوحدة فيما بينهم، وا ٍذابة خلافاتهم بالعودة الصادقة لما كان عليه النبيε، وأصحابه، والتابعون، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وأن يكون هدفهم وغايتهم واحدة، هو إظهار طاعة الله، والاستقامة على دينه.
4. ضرورة الاستفادة من أجواء التعايش في نشر الدعوة في المجتمعات الإفريقية، ولاسيما في مجتمعات الوثنيين، ومعتنقي الديانات المحلية بأفريقيا الذين تستهدفهم المنظمات والمؤسسات التنصيرية.
5. ضرورة تحصين المجتمعات الإسلامية في إفريقيا بالعقيدة الصحيحة، وبما علم من الدين بالضرورة، وبما أجمع عليه المسلمون في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين لأهميتها في المحافظة على معالم الشخصية الإسلامية السوية.

والله المسئول أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويهدينا سواء السبيل.

المصادر والمراجع:

القُرآن الكريم

1. القاموس لأبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي المتوفى 817هـ، نشرته دار إحياء التراث العربي . بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ الموافق 1991م
2. مجلة الإسلام اليوم ص 27 العدد14 عام 1417هـ، وهي مجلة تصدرها المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة . ايسيسكو . مقال بعنوان مفهوم التعايش في الإسلام بقلم د.عباس الجراري .
3. معلومات مستفادة من موقع بالإنترنيت مختارات من المصطلحات السياسية والاقتصادية htt.212, 100, 198, .18/datal/Behoth
4. مجلة دراسات أفريقية التي يصدرها مركز البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة إفريقيا العالمية، العدد الأول، رجب 1405هـ الموافق أبريل 1985م
5. مجلة الإسلام اليوم العدد14 عام 1417هـ
6. الرحيق المختوم ص 139 لصفي الرحمن المباركفوري . النسخة التي نشرتها مؤسسة الحرمين بالرياض . بدون تاريخ.

7. حسن علي الشايقي . أطروحة لنيل الماجستير، والتي كانت بعنوان: الدور الأفريقي في مناصرة الدعوة الإسلامية في عهد النبي ρ بمركز البحوث والدراسات الإفريقية . جامعة إفريقيا العالمية، عام 1998م
8. الفروق لأبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المتوفى 684هـ، تحقيق عمر حسن القيام، نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى 1424هـ الموافق 2003م
9. تفسير القرآن العظيم 369/4 لأبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي 774هـ، نشرته مكتبة دار الفيحاء بدمشق، الطبعة الأولى 1413هـ الموافق 1992م.

10. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص 908 للشيخ/ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، نشر جمعية إحياء التراث الإسلامي . الكويت، 1422هـ الموافق 2001م
11. أبوداود السنن
12. صحيح البخاري . مع فتح الباري